

رحلة المدرويش المتائه

ظلّ المدرويش المتائه
يمشى فى أرض الله
ثلاثين مساءً
حافى المقدميّن
وفوق الرأس عمامته المخضراء
وفى يده : عكاز مكسور
والأخرى : مسبحة من خشب الصندل
تنطق فيها المحبّات
بأسماء الله الحسنى..

لم يجلس طول الرحلة
حتى بلغ الباب
باب الشيخ الأكبر
جلس ، فألقى الأتباع إليه
ببعض التمرات
والمخبز الجاف
أكل ، فشبع ، وطلب مقابلة الشيخ
سمحوا له
قبّل كفّيه ، وباس الدّراس
ثم انتظر حديث الوقت
قال الشيخ:
— يا ولدى .. من أين أتيت ؟
— من آخر بلد بجوار الساحل ،
حيث البحر محيط شاسع ..
— والناس هناك ؟
— فى خير ، والمكل يردّد أوردك
— شكرا لله .. والبركة فيكم
ولماذا جئت ؟
— من أجل منام حيّ رنى تفسيره
— خيرا يا ولدى ؟

— كنت أنام على مصطبة
 بجوار المدار
 واستغرقتى النوم فحاصرني إعصار
 ظل يلف ، يلف على جسدى
 حتى انخلعت كل ثيابى
 وإذا بى أنهار..
 ألقى روى فى البحر
 ورمى جسدى فى بركان مشبوب بالنار
 لم أشعر بلهيب يحرقنى
 بل راحت أطرافى ترتعش
 كأن جليدا يغمرنى
 ويجمدنى...
 قل لى يا شيخى الأكبر:
 ما هذا؟ ولماذا يحدث لى؟

سكت الشيخ طويلا ، ثم أجاب:
 — هدى من روعك يا ولدى..
 فالرؤيا طيبة ، ودلالة خير
 أما الروح الملقى فى البحر
 فالبحر ظهور يغسل أدران الدنيا عنك
 ويجددك لتصبح أصفى مما كنت ،
 وأما النار..
 فالله القادر حوّلها بردا وسلاما
 هل تذكر إبراهيم وما فعلوا فيه ؟
 وأنا أتوقع أن تتعرض لبلء ممن حولك
 لكن الله القادر سوف ينجيك ،
 كما نجى إبراهيم ، سلام الله عليه!

ألقى المدرّيش على كف الشيخ
 يقبلها ، ويقول له:
 هل تأذن لى يا مولدى
 أن أبقى فى خدمتك هنا ؟
 — كلا يا ولدى..
 فأنا أهديك لدرّب مفروش بالألم
 والألم كما تعلم هو أقصر درب للجنة
 فارجع يا ولدى ، موطنك أحق بهذا منى
 وانثر أزهار الخير على كل الناس
 وإذا اعترض طريقك بعض الأشرار
 فتجاوزهم ، وارضع صوتك بالمزمّار
 فالله القادر سوف يقبلك
 من الإعصار

نهض الدرويش المتائه
ممتلئا بالثقة وبالإصرار
وانطلق إلى موطنه في عدة أيام..
حاضى المقدمين
وفوق الرأس عمامته المخضراء
وفى يده عكاز مكسور
والأخرى : مسبحة من خشب الصندل
تنطق فيها المحبات
بأسماء الله المحسنى..
